﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾ [غافر: 27]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الاستِعاذَةُ بِجَنابِ الرَّبِّ القَوِيِّ الجَبّارِ سبيلُ النَّجاةِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ واستِكْبار

لَمّا أعْلَمَ النَّظْمُ الحَكيمُ بِمَقالَةِ العَدوِّ الجَبّارِ الرّامي إلى قَتْلِ موسى عليه السلام وإنْهاءِ دَعْوَتِه المُبارَكَةِ أتْبَعَهُ بالإعْلامِ بِقَوْلِ الوَلِيِّ موسى عليه السلام إبْطالًا لِهَذا القَوْلِ وإزالَةً لآثارِه، مُؤَكِّدًا ما اسْتَقَرَّ في النُّفوسِ مِن قُدْرَةِ فِرْعَوْنَ بالاسْتِعاذَةِ بِرَبِّ العالَمينَ من شرِّ المتكبِّرين، ومنهم فِرْعَونُ اللَّعينُ، فأعْلَمَهُم أنَّهُ لا وُصولَ لأحَدٍ إلى قَتْلِه بِسَبَبِ هذه الاسْتِعاذَةِ الحافِظَةِ بأمْرِ اللهِ، ورَغَّبَهم في الاعْتِصامِ بِهِ، وثَبَّتَهم بِتَذْكيرِهم بِرَبِّ الخَلْقِ أجْمَعينَ، الَّذي أرْسَلَهُ لاسْتِنْقاذِ بَني إسْرائيلَ مِن أعْداءِ الدّينِ والدُّنْيا؛ مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عاتٍ طاغٍ مُتَعَظِّمٍ على الحَقِّ وغَيْرِهِ ممَّنْ لا يُؤمِنُ بيَوْمِ الحِسابِ[1]، فكانَ في إتْباعِ النَّظْمِ الحَكيمِ مَقالَةَ فِرْعَونَ اللَّعينِ بمَقالَةِ موسى عليه السلام بَيانٌ لِسُبُلِ الوِقايةِ مِنَ الأذى والشَّرِّ.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عُذْتُ﴾: (عوذ) أصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ، معناه: الالتِجاءُ إلى الشَّيْءِ، والاعْتِماءُ بِهِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بِشَيْءٍ أو لازَمَهُ[2]. تَقولُ: أعوذُ باللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ؛ أي: ألْجَأُ إلَيْهِ عَوْذًا أو عياذًا، ويَقولونَ: فُلانٌ عياذٌ لَكَ؛ أي: مَلْجَأٌ. وقَوْلُهُمْ: مَعاذَ اللهِ، مَعْناهُ: أعوذُ باللهِ. وكَذا أسْتَعيذُ باللهِ. والعوذَةُ والمَعاذَةُ: الَّتي يُعَوَّذُ بِها الإنْسانُ مِنْ فزَعٍ أو جُنونٍ[3]. وغالِبُ ما في القُرْآنِ مِنَ التَّرْكيبِ هوَ بِمَعْنى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 52، (بتصرف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عوذ).
(3) الخليل، كتاب العين: (عوذ).

العياذ بالله احتماءً بِهِ سُبْحانَهُ[1]. والمَعْنى المُرادُ هَهُنا: إنِّي ألْتَجِئُ إلى اللهِ مُحْتَمِيًا بِقوَّتِه القاهِرَةِ وسُلْطانِه العَزيزِ.

2) ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾: (كبر) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ. والكِبْرُ: العَظَمَةُ، وكَذَلِكَ الكِبْرِياءُ. يُقالُ: أكْبَرْتُ الشَّيْءَ: اسْتَعْظَمْتُهُ[2]. والاستِكْبارُ: الامْتِناع عَن قبولِ الحقِّ معاندةً وتكَبُّرًا، والمُتكبّرون: هم الَّذين يرَوْنَ أنَّهُم أفْضَلُ الخَلْقِ، وأنَّ لَهُم مِن الحقِّ ما لَيْسَ لغَيرهم. وهَذِه الصّفة لا تكونُ إلّا للّه خاصَّة؛ لأنَّ اللّه جلَّ وعزَّ هوَ الَّذي لَهُ القدرةُ والفضلُ الَّذي لَيْسَ لأحدٍ مِثله، وذَلِكَ الَّذي يستحقُّ أن يقالَ لَهُ: المتكبِّر، ولَيْسَ لأحدٍ أن يتكبَّر؛ لأنَّ النّاس في الحقوقِ سواءٌ، فلَيْسَ لأحد ما لَيْسَ لغيره، فاللّهُ المتكَبِّرُ جلّ وعزّ[3]. ووَصْفُ اللّه تَعالى بالتَّكَبُّرِ بمعنى: أنْ تَكونَ الأفْعالُ الحَسَنَةُ كَثيرَةً في الحَقيقَةِ وزائِدَةً على مَحاسِنِ غَيْرِهِ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بَعْدَ صُدورِ هَذا التَّهْديدِ المُتَجَبِّرِ مِنْ فِرْعَونَ اللَّعينِ قالَ موسى ﷺ لِقَوْمِهِ على سَبيلِ التَّثْبيتِ لَهُمْ على الحَقِّ: يا قَوْمِ، إنّي اسْتَجَرْتُ وتَحَصَّنْتُ بِرَبّي ورَبِّكُمْ مِنْ شَرِّ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عَنِ الإيمانِ بالحَقِّ، كافِرٍ بيَوْمِ الحِسابِ وما فيهِ مِنْ ثَوابٍ وعِقابٍ. وفي هَذا القَوْلِ الَّذي قالَهُ موسى لِقَوْمِهِ يَتَجَلّى صِدْقُ إيمانِهِ وقوَّةُ يَقينِهِ ووُثوقِهِ بِرعايَةِ اللّه تعالى لَهُ، كَما يَتَجَلّى فيهِ حِرْصُهُ على نُصْحِ قَوْمِهِ بالثَّباتِ على الحَقِّ؛ لأنَّ اللّه تعالى – الَّذي هوَ رَبُّهُ ورَبُّهُمْ – كَفيلٌ بِرعايَتِهِمْ جميعًا وبِإنْجائِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ، ويَتَجَلّى فيهِ أيضًا أنَّ الاسْتِكْبارَ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ والتَّكْذيبَ بالبَعْثِ على رَأْسِ الأسْبابِ الَّتي تُعينُ على قَسْوَةِ القَلْبِ وفَسادِ النَّفْسِ[5].

الاعْتِصامُ بِجَنابِ الباري خَيْرُ مَلْجَأٍ للنَّجاةِ مِنْ شَرِّ أيِّ طاغيَةٍ مُتَجَبِّرٍ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (عوذ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (كبر).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (كبر).
(5) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 281.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في مطلع الآية:

لا ملـجأ للمُصلحين عند الشّدائد إلّا الله تعالى

جاءَتِ الواوُ في مفتتح جملة: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ عاطِفَةً، رَبَطَتْ هَذِهِ الجملة بالجملة السّابِقَةِ عَلَيْها؛ لاتِّفاقِ الجملتينِ في الخبريَّةِ، مع اتِّحادِ المناسبةِ بينهما، وليس ثَمَّةَ ما يمنعُ من العطف، فهَذا حِكايَةُ كَلامٍ صَدَرَ مِن موسى في غَيْرِ حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ لا مَحالَةَ؛ ولِذَلِكَ حُكِيَ مَعْطوفًا بالواوِ؛ لأنَّ ذَلِكَ القَوْلَ لَمْ يَقَعْ في مُحاوَرَةٍ مَعَ مَقالِ فِرْعَوْنَ، بِخِلافِ الأقْوالِ المَحْكيَّةِ في سورَةِ الشُّعَراءِ مِن قَوْلِهِ: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: 18] إلى قَوْلِهِ: ﴿قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١﴾ [الشُّعراء: 31][1]. فالواوُ دالَّةٌ على أنَّ هَذا القَوْلَ لَمْ يَكُنْ رَدًّا على فِرْعَوْنَ في زَمَنٍ واحِدٍ، وإنَّما هوَ كَلامٌ مَعْطوفٌ على كَلامٍ، ولَيْسَ كَلامًا مُتَوَلِّدًا مِنْ كَلامٍ كَما هيَ قاعِدَةُ الفَصْلِ والوَصْلِ. ثُمَّ إنَّهُ دالٌّ على أنَّ موسى عليه السلام سَمِعَ مَقالَةَ فِرْعَوْنَ أو بَلَغَتْهُ، فلَمْ يَزِدْ على أنَّهُ اسْتَعاذَ بِمَنْ لا يُخالِجُهُ رَيْبٌ في أنَّهُ سيُعِيذُهُ؛ لأنَّهُ سَمِعَ مِنْ رَبِّهِ لَمّا قالَ لَهُ هوَ وهارونُ: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾ [طه: 45][2].

نُكْتَةُ التَّوْكيدِ بـ(إنَّ) والجملة الاسْميَّةِ:

لا دافِـعَ للشَّرِ والأذى سِـوى الـعِـيـاذِ بالله تعالى

في قَوْلِ اللهِ تباركتْ آلاؤُه على لِسانِ موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ جاءَ النَّظْمُ الحَكيمُ باسْتِعْمالِ أداةِ التَّوْكيدِ (إنَّ) في صَدْرِ الكَلامِ؛ تَأْكيدًا وتَنْبيهًا على أنَّ السَّبَبَ المُؤَكَّدَ في دَفْعِ الشَّرِّ هو العِياذُ باللهِ تَعالى[3]، فهَذا يُدَلِّلُ على أنَّ الطَّريقَ المُؤَكَّدَ المُعْتَبَرَ في دَفْعِ الشُّرورِ والآفاتِ عَنِ النَّفْسِ هو الاعْتِمادُ على اللهِ والتَّوَكُّلُ على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.
(2) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 98.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 316.

عِصْمَةِ اللّه تَعالى[1]. وتَأْكيدُ الخَبَرِ بِحَرْفِ (إنَّ) مُتَوَجِّهٌ إلى لازِمِ الخَبَرِ وهو أنَّ اللّه ضَمِنَ لَهُ السَّلامَةَ، وأكَّدَ ذَلِكَ لِتَنْزيلِ بَعْضِ قَوْمِهِ أوْ جُلِّهِمْ مَنزِلَةَ مَن يَتَرَدَّدُ في ذَلِكَ؛ لِما رَأى مِن إشْفاقِهِمْ عليه[2].

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بـ ﴿عُذْتُ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

احتِماءُ موسى بِرَبِّهِ في كُلِّ وقْتٍ وحينٍ

آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ التَّعبيرَ بالفِعْلِ ﴿عُذْتُ﴾ في جملة ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾؛ لأنَّ المُرادَ به: ألْجَأُ إلَيْهِ وأحتمي بِهِ. فالمَعْنى هَهُنا: إنِّي أَلْتَجِئُ إلى اللّهِ مُحْتَمِيًا بِقوَّتِه القاهِرَةِ وسُلْطانِه العَزيزِ، فهوَ مَلْجَأُ الضُّعَفاءِ مِنْ بَطْشِ كُلِّ جبّارٍ عَنيدٍ.

وقَدْ آثَرَ النَّظْمُ كذلك صيغَةَ المُضيِّ للدَّلالَةِ على تأْكيدِ اسْتِعاذَةِ موسى ﷺ باللّهِ في كُلِّ أوْقاتِه. فالتَّعبيرُ بالفِعْلِ الماضي أدَلُّ على الإنْشاءِ المُناسِبِ لِلمَقامِ، والدَّلالَةِ على تَحَقُّقِ العياذِ باللّهِ، وأنَّهُ مَقْطوعٌ بِهِ قَدْ وقَعَ وتَحَقَّقَ، فهوَ غَيْرُ قابِلٍ لِلنَّقْضِ.

مَعْنى الباءِ في قَوْلِهِ: ﴿بِرَبِّي﴾:

الالتِصاقُ بِجَنابِ اللّهِ العَزيزِ والاسْتِعانَةُ بِفضْلِه سبيلُ النَّجاةِ

جاءَتِ الباءُ في جملة ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ للإلصاقِ، ففيها تأْكيدٌ على الالتِجاءِ إلى اللّهِ واللَّوْذِ بِجَنابِه الكريم، وقيلَ: إنَّ مَعْنى الباءِ هَهُنا الاسْتِعانَةُ بِه تعالى على شَرِّ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ باغٍ[3]، ذلك أنَّ اسْتِعاذة موسى ﷺ باللّه سبحانه واعْتِمادَهُ على فضْلِه هي علّة دَفْعِ الشَّرِّ عنه، وصونِه عَنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وإيصالِه إلى كُلِّ أُمْنِيَةٍ. فاللّه تَعالى يَصونُ دينَ عبده وإخْلاصَهُ عَنْ وساوِسِ شَياطينِ الجِنِّ، وعِنْدَ تَوَجُّهِ الآفاتِ والمَخافاتِ مِن شَياطينِ الإنْسِ، ومِنْ كُلِّ شَرٍّ يُرادُ بِه، وذلك إذا قالَ: أعوذُ باللّه[4].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 507.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 127.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 1/ 48.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 507.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ الرُّبوبيَّةِ مُضافًا إلى ضَميرِ المتكلِّم:

افْتِخارُ موسى بِمَقامِ العُبوديَّةِ للرَّبِّ سُبحانه رَدٌّ على اسْتِخْفافِ فِرْعَوْنَ وتَبَجُّحِهِ

أضافَ النَّظْمُ الحَكيمُ لَفْظَ الرُّبوبيَّةِ إلى ضمير ياءِ المُتَكَلِّم العائدِ على موسى ﷺ في جملة: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾؛ لِتأْكيدِ تَعَبُّدِ موسى ﷺ لِرَبِّهِ تعالى وتَشرُّفِهِ به، وفيه إشارَةٌ إلى مَعْنى التَّفَضُّلِ بالتَّرْبيةِ والرِّعايةِ، فكأنَّه يَقولُ: إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ هو الَّذي رَبّاني وإلى دَرَجاتِ الخَيْرِ رَقّاني، ومِنَ الآفاتِ وقاني، وأعْطاني نِعَمًا لا حَدَّ لَها ولا حَصْرَ، فلَمّا كانَ المَوْلى لَيْسَ إلّا اللهَ وجَبَ أنْ لا يَرْجِعَ العاقِلُ في دَفْعِ كُلِّ الآفاتِ إلّا إلى حِفْظِ اللهِ تَعالى[1].

وفي إضافَةِ الرُّبوبيَّةِ إلى ياءِ المُتَكَلِّم تَصْريحٌ بالافْتِخارِ بِهَذِهِ العُبوديَّةِ الَّتي تُشَرِّفُ قَدْرَ موسى ﷺ، ورَدٌّ على تَبَجُّحِ فِرْعَونَ اللَّعينِ واسْتِخْفافِهِ بِدَعائِهِ في الآيَةِ السّابِقَةِ في قَوْلِه: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾.

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَرَبِّكُم﴾ ونُكْتَةُ الإضافَةِ فيه:

اللهُ تعالى ربُّ الخَلْقِ أجْمَعينَ، سواءٌ آمَنوا بِه تعالى أم لَمْ يُؤْمِنوا

في قولِهِ تعالى على لِسانِ موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ عَطَفَ النِّظْمُ الحَكيمُ قَوْلَه: ﴿وَرَبِّكُم﴾ على ﴿بِرَبِّي﴾، وخُصَّ اسْمُ الرَّبِّ؛ لأنَّ المَطْلوبَ هو الحِفْظُ والتَّرْبيَةُ، وأضافَهُ إلَيْهِ وإلَيْهِمْ حَثًّا لَهم على موافَقَتِهِ في العِياذِ بِهِ سُبْحانَهُ والتَّوَجُّهِ التّامِّ بالرّوحِ إلَيْهِ جَلَّ شَأْنُهُ؛ لِما في تَظاهُرِ الأرْواحِ مِن اسْتِجْلابِ الإجابَةِ، وهَذه هي الحِكْمَةُ في مَشْروعيَّةِ الجَماعَةِ في العِباداتِ[2]. كَما أنَّ في زيادَةِ وصْفِهِ بِرَبِّ المُخاطَبينَ إيماءً إلى أنَّ عليهمْ أنْ لا يَجْزَعوا مِن مُناوأةِ فِرْعَوْنَ لَهم، وأنَّ عليهمْ أنْ يَعوذوا باللهِ مِن كُلِّ ما يُفْظِعُهم[3]. ففي هَذِهِ الزِّيادَةِ كثيرٌ مِنَ المَعاني الجَليلَةِ المُرَسِّخَةِ لِحُسنِ الاعْتِقادِ باللهِ تعالى.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 507.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 316.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 127.

نُكْتَةُ تَقْديمِ رُبوبيَّةِ اللهِ لِموسى عليه السلام على غيْرِه:

رُبوبيَّةُ اللهِ تشملُ الخلقَ أجمعين

قُدِّمَ إثْباتُ رُبوبيَّةِ الله تَعالى لِموسى عليه السلام على إثْباتِها لَهُمْ لعدَّةِ لطائفَ: أنْ يَكونَ الكَلامُ جاريًا على طَريقَةِ التَّدَلّي، وأنْ يُسْتَدَلَّ بِرُبوبيَّةِ الله تَعالى لَهُ على رُبوبيَّتِهِ لَهُمْ مِنْ بابٍ أوْلى وأحْرى، فيَكونُ قَوْلُهُ بَعْدُ: ﴿وَرَبِّكُم﴾ بِمَنْزِلَةِ التَّأْكيدِ والتَّقْويَةِ، ولأنَّ فِرْعَونَ قَدِ ادَّعى الأُلوهيَّةَ، فكانَ الأنْسَبُ إثْباتَ كَوْنِهِ مَرْبوبًا؛ رَدًّا لِهَذِهِ الفِرْيَةِ العَظيمَةِ، الَّتي تَبَجَّحَ بها في قولِه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]، وقَوْلِه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النّازعات: 24]، فكانَ إثْباتُ رُبوبيَّةِ الله تعالى لِموسى عليه السلام أوَّلًا ولِقَومِه من بعدِهِ مِن بابِ دَفْعِ هَذِهِ الفِرْيَةِ.

مَعْنى ﴿مِّن﴾ الجارَّة في قوله: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾:

معظمُ الشُّرورِ مبدؤُها الكِبْر

جاءَتْ ﴿مِّن﴾ في جملة ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ لِلابْتِداءِ، فجَعَلَتِ ابْتِداءَ الغايَةِ في الاسْتِعاذَةِ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ. وفي الجملة مَحْذوفٌ، يُمْكِنُ تَقْديرُه بِـ(شَرِّ)؛ أي: (مِنْ شَرِّ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ أو أذاهُ).

نُكْتَةُ دُخولِ ﴿كُلِّ﴾:

الاسْتِعاذَةُ شامِلَةٌ لِكُلِّ المُتَكَبِّرينَ لا فِرْعَونَ وحْدَه

في جملة ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أضافَ النَّظْمُ الجَليلُ لَفْظَ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ إلى كَلِمَةِ ﴿كُلِّ﴾، لإفادَةِ الإحاطَةِ والشُّمولِ؛ لِتَشْمَلَ اسْتِعاذَتُهُ فِرْعَونَ وغَيْرَهُ مِنَ الجَبابِرَةِ.

ولَعَلَّ التَّصْريحَ بِذِكْرِ هامانَ وقارونَ في قَوْلِه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر: 23 - 24] مِنْ أسْبابِ دُخولِ لَفْظِ ﴿كُلِّ﴾، فإنَّ فِرْعَونَ لَمْ يَكُنِ المُتَكَبِّرَ الأوْحَدَ الَّذي جابَهَ دَعْوَةَ موسى عليه السلام، بَلْ كانَ هامانُ وقارون كذلك مِنْ رؤوسِ المُتَكَبِّرينَ، فجاءَ لَفْظُ ﴿كُلِّ﴾ لِيَشْمَلَهُما إلى جوارِ فِرْعَونَ، لَعَنَهُمُ اللهُ أجْمَعينَ.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بلفظ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، ونُكْتَةُ تَنْكيرِه:

الاسْتِكْبارُ عَنِ الإذْعانِ للحَقِّ سبيلُ الطُّغاةِ والمُتَجَبِّرينَ

جاءَتْ كَلِمَةُ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ نَكِرَةً لإفادَةِ العُمومِ والشُّمولِ، وللتَّعْريضِ بِفِرْعَونَ دونَ التَّصْريحِ باسْمِه، فشَمَلَ الوَصْفُ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ طاغٍ، وأرادَ بالتَّكَبُّرِ الاسْتِكْبارَ عَنِ الإذْعانِ لِلْحَقِّ وهو أقْبَحُ اسْتِكْبارٍ وأدَلُّهُ على دَناءَةِ ومَهانَةِ نَفْسِهِ وعَلى فرْطِ ظُلْمِهِ وعَسْفِهِ[1].

نُكْتَةُ التَّعْميمِ والعُدولِ عنْ ذِكْرِ فِرْعَونَ:

أدبُ الخِطابِ زينةُ الأنْبياءِ، وسوءُ الخطاب طبعُ المتكبِّرين الطُّغاة

وجهُ التَّعميم في قَوْلُ موسى عليه السلام: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ دون التَّصريح باسم فِرْعَوْنَ الإشارةُ إلى اتّصافِ موسى بِمَكارِمِ أخْلاقِ أهْلِ الحَقِّ، الَّذين تَبْتَعِدُ ألْسِنَتُهُمْ عَنِ الأشْخاصِ إلى صفاتهم، فالمُسْتَعاذُ باللّه مِنْهُ لَيْسَ هوَ شَخْصَ فِرْعَوْنَ، وإنَّما هوَ المُتَكَبِّرُ الَّذي لا يُؤْمِنُ بيَوْمِ الحِسابِ السّاكِنُ في شَخْصِ فِرْعَوْنَ، فلَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا جاحِدًا لَما كانَ بَيْنَ موسى وبَيْنَهُ ما يُكْرَهُ، وهَذا هوَ الأُسْلوبُ العالي، ولَوْ وضَعَتْهُ بإزاءِ خُشونَةِ فِرْعَوْنَ وغَطْرَسَتِهِ وسوءِ أدَبِهِ في قَوْلِهِ: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ لَوَجَدْتَ الفَرْقَ الكبيرَ بَيْنَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسانِ النُّبوَّةِ، ومَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسانِ الغَطْرَسَةِ.

وفي عدمِ التَّصريحِ باسم فرعونَ إشارةٌ إلى خُلُقِ الوفاءِ لدى سيِّدِنا موسى؛ لأنَّهُ كانَ قَدْ سَبَقَ لَهُ حَقُّ تَرْبِيَةٍ على موسى مِن بَعْضِ الوُجوهِ، فتَرَكَ التَّعْيينَ رِعايَةً لِذَلِكَ الحَقِّ[2]. ذَلِكَ أنَّ موسى عليه السلام لَمْ يَنْسَ أنَّهُ رُبِّيَ في بَيْتِ هَذا الرَّجُلِ وأكَلَ طَعامَهُ وسَكَنَ في مَسْكَنِهِ وعاشَ في رِعايَتِهِ[3].

ثُمَّ إنَّ موسى عليه السلام بِهَذا العُدولِ يُعَلِّمُنا أنْ نَحْذَرَ من نوعٍ معيَّنٍ مِنَ البَشَرِ، وأنْ نَسْتَعيذَ باللّه مِنْهُ، وهوَ المُتَكَبِّرُ، فالكِبْرُ ولَوازِمُهُ مِنَ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 317.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 507.
(3) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 99.

الإفْراطِ والطُّغْيانِ، هوَ شَرٌّ كُلُّهُ، وبَلاءٌ كُلُّهُ، وجَهْلٌ كُلُّهُ، وعَلى هَذا يَجِبُ أنْ يُدْفَعَ؛ لأنَّهُ ضِدُّ الحَياةِ الإنْسانيَّةِ الطَّبيعيَّةِ، وضِدُّ حُرُماتِ النّاسِ في المُجْتَمَعِ الإنسانيِّ[1].

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾:

جاءَتْ جملة ﴿لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ صِفَةً لِـ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، وجُعِلَتْ مُغْنِيَةً عَنْ صِفَةِ الكُفْرِ أوِ الإشْراكِ؛ لأنَّها تَتَضَمَّنُ الإشْراكَ وزِيادَةً؛ لأنَّهُ إذا اجْتَمَعَ في المَرْءِ التَّجَبُّرُ والتَّكْذيبُ بالجَزاءِ وقِلَّةُ المُبالاةِ بِعَواقِبِ أعْمالِهِ كَمُلَتْ فيهِ أسْبابُ القَسْوَةِ والجُرْأةِ على اللهِ تَعالى وعلى النّاسِ[2]، فلَمْ يَتْرُكْ عَظيمَةً إلّا ارْتَكَبَها.

التَّجَبُّرُ والتَّكْذيبُ بالجَزاءِ مِنْ أسْبابِ القَسْوَةِ والجُرْأةِ على رُسُلِ اللهِ

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿لَا يُؤْمِنُ﴾:

آثَرَ النَّظْمُ الجَليلُ التَّعبيرَ بِصيغَةِ المُضارَعَةِ في جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأنَّ المُرادَ الإشارَةُ إلى أنَّ فِرْعَونَ اللَّعينَ ومَنْ مَعَهُ لا يَتَجَدَّدُ لَهُم تَصْديقٌ بيَوْمِ الحِسابِ[3]، ففي صيغَةِ المُضارَعَةِ دَلالَةٌ على اسْتِمْرارِ عَدَمِ إيمانِ المُتَجَبِّرينَ ما دامَ التَّجَبُّرُ والاسْتِكْبارُ في قُلوبِهِم.

عَدَمُ الإيمانِ متجدِّدٌ ما دامَ التَّجبُّرُ والاسْتِكْبارُ يسكنانِ القلب

دَلالَةُ إضافَةِ (يَوم) لِلَفْظِ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾:

أضافَ النَّظْمُ الحكيمُ كَلِمَةَ (يَوْم) لِلَفْظِ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ للدَّلالَةِ على أنَّ هذا اليومَ هوَ الَّذي يَقَعُ فيه الحسابُ، والمُرادُ منَ الإضافَةِ بيانُ سفاهةِ عقولِ هؤلاءِ المتكبِّرين المتجبِّرين الَّذينَ اسْتَعاذَ موسى عليه السلام مِنْهُم، حيث لم يُصَدِّقوا بوقوعِ هَذا اليَوْمِ العَظيمِ الَّذي إليه مَصيرُ البَشَرِ أجْمَعينَ.

سَفاهةُ عُقولِ المُتَجَبِّرينَ الَّذينَ لا يُصَدِّقونَ بيومِ الحِسابِ

مَعْنى اللّامِ في لَفْظِ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾:

جاءَتِ اللّامُ في كَلِمة ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ للعَهْدِ الذِّهْنيِّ؛ أي: ذَلِكَ

(1) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 99.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 317، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 127.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 52.

يَـوْمُ الحِسابِ مِـن الأمُـورِ المَـعـلـومَـةِ المستقرَّةِ في قلبِ كلِّ مُسْلِمٍ

الحِسابِ المَعْلومِ الَّذي تحدَّث عَنْهُ المُرْسَلونَ والأنْبياءُ كثيرًا، حَتَّى غَدا أمْرًا مَعْلومًا منَ الدّينِ بالضَّرورَةِ، فكانَ مَفْهومًا في سياقِ النَّظْمِ وإنْ لَمْ يجِئْ لَهُ ذِكْرٌ قَريبٌ.

سرُّ إيثار لفظ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

اسْتعْمَلَ النَّظْمُ الحكيمُ لفظَ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ دونَ بَقيَّةِ أسْماءِ القيامَةِ؛ لأنَّ تَوْفيَةَ عِقابِ المُتَجَبِّرينَ تَظْهَرُ في هَذا اليَوْمِ، ولأنّ اللّه تعالى يجمع فيه أعْمالَ العِبادِ، فلا تَغيبُ عَنْهُ شارِدَةٌ ولا واردَةٌ إلّا يُحْصيها على عِباده؛ إذِ المَعْنى المحْوَريُّ لِمادَّةِ (حسب) هوَ جَمْعُ ما هوَ مُنْتَشِرٌ في حَيِّزٍ يَضُمُّهُ حَتّى يَمْتَلِئَ بِهِ[1].

يَـوْمُ الحسابِ هوَ اليَوْمُ الَّذي يَظْهَرُ فيه الجَزاءُ على الأعْمالِ

وإنَّما ذُكِرَ الحِسابُ دونَ القيامَةِ؛ لأنَّهُ أشَدُّ تَخْويفًا، فإنَّ الإنْسانَ إذا عَلِمَ أنَّهُ سَيُحاسَبُ على عَمَلِهِ يُرْجى لَهُ أنْ يَرْتَدِعَ عَنِ المَعاصي وأنْ يَقومَ بالأوامِرِ[2].

التَّعْبيرُ بيَوْمِ الحِسابِ أشَدُّ تَخْويفًا مِنْ بَقيَّةِ أسْماءِ القيامَةِ

نُكْتَةُ الاقْتِصارِ على عَدَمِ الإيمانِ بيَوْمِ الحِسابِ:

عَبَّرَ النَّظْمُ الحَكيمُ عَنْ صِفاتِ المُتَكَبِّرينَ بعَدَمِ الإيمانِ بيوم الحِسابِ مِنْ دونِ سائِرِ الأرْكانِ الأُخْرى؛ لأنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ مُغْنيَةٌ عَنْ صِفَةِ الكُفْرِ أوِ الإشْراكِ؛ جامعةٌ لهما؛ لتضمُّنِها الإشْراكَ وزيادَةً.

عَـدَمُ التَّصْديقِ بيَوْمِ الحِسابِ مُتَضَمِّنٌ للكُفْرِ وزيادَةٍ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حسب).
(2) ابن عثيمين، تفسير سورة غافر، ص: 237.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»